# سورة الشورى

## بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ حمٓ ﴿١﴾ عٓسٓقٓ ﴿٢﴾ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ﴾

**يَتَفَطَّرْنَ** : يتشققن من عظمته تعالى وجلاله .

**أَوْلِيَاءَ** : معبودات يزعمون نصرتها لهم .

**الله حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ** : رقيب على أعمالهم ومجازيهم .

**بِوَكِيلٍ** : بموكول إليك أمرهم .

لو أن المرء أتيح له بصر غير محدود ، فسوف يلاحظ أن هناك إلهاً هو مالك السماوات والأرض بما فيهن ، وقوته هائلة لدرجة أن الكون يكاد ينفطر ويتصدع من استشعار هيبته وجلاله ، والملائكة ، الذين هم على علمٍ مباشرٍ بألوهية الله - جل جلاله- لا تفتأ ألسنتهم تلهج بحمده وتسبيحه كل لحظة ، غارقين في الخشية الإلهية ، ثم إنه سيلاحظ أن الله - عز وجل - يختار بمشيئته وقدرته الخاصة بعض البشر ويوصل إليهم كلامه على نحوٍ غير مباشرٍ، لكي يقوموا بإخبار الناس أجمعين بالحقيقة الواقعة .

وإن الإنسان ، وإن كان لا يرى هذه الحقائق بصورة مباشرةٍ ، إلا أنه يستطيع أن يدركها عن طريق العقل بصورةٍ غير مباشرةٍ ، وهذا هو امتحان المرء الحقيقي ، فالمسئولية الملقاة على عاتق الإنسان أن يرى بعين بصيرته الأشياء التي لا يراها ببصره ، ويسمع صوت الله في كلام الأنبياء ، فيأخذ نفسه بالخضوع والإذعان إليه ، وأن يؤمن بالغيب إيماناً كما لو أنه يرى كل شيءٍ رأي العين !!

وإن أحداً لن يُعذر يوم القيامة بالنظر إلى أنه لم يكن قد رأى الحقيقة مباشرةً ، إذْ أن رؤية الحقيقة مباشرةً غير مطلوبة أصلاً في عالمنا الراهن ، فلئن وصلت الرسالة الجوهرية إلى شخصٍ ما على أتم الوجوه وأكملها ، فإن حجة الله تقوم عليه بعدئذٍ ، وإن انكشاف الحقيقية عليه بلغة الدليل وحده كافٍ لكي يُدان ذلك الشخص بجريمة إنكار الحق ، ويعاقب بالتالي بالعقوبة المقدرة لمنكري الحق أمثاله !

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ﴾

**أُمَّ القُرَى** : مكة : أي أهلها .

**يَوْمَ الجَمْعِ**: يوم القيامة لاجتماع الخلائق فيه .

الهدف الرئيسي الذي تنشده دعوة الرسول هو أن يتم إعلام البشر كافةً بأنهم سيحضرون آخر الأمر بين يدي الله ، حيث يُجزى الكل ، حسب عمله في الحياة الدنيا ؛ إما بالجنة الأبدية أو الجحيم الأبدي !.

ولقد بعث رسول الله - ﷺ- لأجل إعلام البشرية جمعاء بهذه الحقيقة نفسها. وقد كانت بعثته - عليه الصلاة والسلام - ذات مرحلتين : مباشرة وغير مباشرة .

أما بعثته المباشرة فقد كانت إلى مكة وما حولها من القرى والبلاد ، وقد قام - عليه

الصلاة والسلام - بإكمال هذه المرحلة في حياته قبل رحيله إلى الرفيق الأعلى ..

وأما بعثته غير المباشرة فهي للعالم أجمع بواسطة أمته ، وبعثته الثانية هذه مازالت مستمرةً - ولا تزال - إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها . وقد عرض رسول الله ﷺ رسالته على العرب باللغة العربية ، وإن الأمة المحمدية بدورها مطالبة بأن تسير على هذا المبدأ ذاته ، وهي تؤدي وظيفتها الدعوية بالنيابة عنه - عليه الصلاة والسلام - بحيث تقوم بإبلاغ رسالة الحق إلى كل أمةٍ بلغتها ، فإنه لا يتسنى الوفاء بحق التبليغ بالنسبة إلى أمةٍ ما ، ما لم يتم إيصال رسالة الحق إليها بلغتها هي !!

﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ﴾

وَإِلَيْهِ أُنِيبُ : إليه أرجع في كل الأمور .

لقد فتح الله للإنسان باباً إلى رحمةٍ غير عادية لم يفتحه لأحدٍ سواه ، وهو أن يختار هداية الله بمحض إرادته هو ، فيعود بالتالي أهلاً لإنعام الله غير العادي ، وما اختيار الناس طرقاً مختلفة الاتجاهات في الحياة إلا نتيجة هذه الحرية نفسها ، وهذا الاختلاف وإن كان أمراً غير مستحسنٍ ، إلا أنه ليس ثمة إلى انتخاب ذلك الإنسان الغالي الثمين من سبيل آخر غير هذا .

وإن الله سبحانه مع كونه خلق الإنسان حراً مختاراً ، إلا أنه أودع لهداية الإنسان في نفسه وفيما حوله من الدوافع والأسباب الكثيرة ما يجعل المرء لا يتجه نحو الطريق الخاطئ أبداً، فيما لو كان جاداً حق الجدية ، والذين يتجهون نحو الطريق الخاطئ هم

ظالمون ، وإنهم لن يعتبروا عند الله أهلاً للعفو والمغفرة البتةً !

﴿ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ﴾

**فَاطِرُ** : مبدع ومخترع .

**مِنْ أَنفُسِكُمْ** : حلائل .

**وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجاً** : أصنافا ذكوراً وإناثاً .

**يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ** : يكثركم بسبب هذا التزويج .

**لَهُ مَقَالِيدُ** : مفاتيح وخزائن .

**وَيَقْدِرُ** : يضيقه على من يشاء بحكمته .

إنها لواقعة عظيمة ، هذه التي نشهدها أمامنا بشكل السماء والأرض ؛ لدرجة لا يتصور معها أن يكون قد أوجدها إله من تلك الآلهة التي يُعظّمها الناس ويقدسونها من دون الله ، وهكذا نظام التوالد والتناسل لدى البشر والحيوانات يبلغ من الدقة والتعقيد حداً لا يمكن معه أن يُنسب بحقٍ إلى أحد الناس ولا أحد الآلهة التي يعبدها الناس من دون الله سبحانه وتعالى .

وصفات الخالق تلك التي ندركها عن طريق مشاهدة مخلوقاته ، كافية في حد ذاتها لإثبات مدى عظمة هذا الخالق ، فهو سميع وبصير ، وهو مالك لكل أنواع القوة والقدرة والاختيار الأعلى ، وأن كل ما يناله شخص ما فإنما يناله بعطاءٍ منه تعالى ، وما ينتزع منه فإنما ينتزع بانتزاعه تعالى . وهو تعالى لا ندّ له ولا نظير في ذاته ولا في صفاته ،

وليس كمثله شيءٍ !!

﴿ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ﴾

**شَرَعَ لَكُم** : بين وسن لكم طريقاً واضحاً .

**مَا وَصَّى** : ما أمر به وألزم .

**أَقِيمُوا الدِّينَ** : دين التوحيد ، وهو دين الإسلام.

**كَبُرَ** : عظم وشق .

**يَجْتَبِي** : يختار ويصطفي لدينه .

**يُنِيبُ** : يرجع إليه ويقبل على طاعته .

لقد جاء كل الأنبياء – على اختلاف الزمان والمكان – بدين واحدٍ ليس غير ، ألا وهو دين التوحيد ، ولكن أتباع أولئكم الأنبياء والمرسلين لم يلبثوا أن انقسموا إلى فرقٍ دينيةٍ شتى فيما بعد . وكان السبب في ذلك يرجع إلى تغير مركز الاهتمام ، فقد كان الله هو مركز الاهتمام الرئيسي في الدين الذين جاء به الأنبياء الكرام ، إذْ كانت دعوة الجميع أن اعبدوا الله الواحد الأحد ، ولا تشركوا في عبادته شيئاً ، غير أن أممهم ما لبثت أن غيرت مركز اهتمامها فيما بعد حيث صارت عابدةً لغير الله بدلاً من عبادة الله وحده!.

إن الدين الذي يطلبه الله سبحانه من عباده إنما يتلخص في أن يتمسكوا بالتوحيد الخالص ، وأن يصير الله الواحد هو مركز اهتمام الجميع ، وهذا هو إقامة الدين . وأما الشرك فهو الاسم الآخر لتغيير مركز الاهتمام هذا ، وحين يتسرب الشرك إلى الناس

obeikandl.com

فسرعان ما ينشب بينهم الاختلاف والفرقة ؛ ذلك لأن مركز اهتمام الجميع يبقى واحداً ما دام التوحيد هو السائد ، بينما تتعدد مراكز الاهتمام عندما يحل الشرك محل التوحيد .

ودين النبي العربي - ﷺ- وإن كان ديناً محفوظاً من حيث متنه السماوي ، إلا أن أمته ليست أمة محفوظة (معصومة) ، فلا تزال الفرصة مفتوحة أمام أفرادها لكي يجعلوا من الأشياء الجديدة مركز اهتمامهم ، ويُدخلوا على الدين الأصيل ألوان التغييرات أو التعديلات عن طريق تفسيره وتأويله المزعوم ، ويحيلوا بالتالي الدين الواحد عملياً إلى أديان ومذاهب عديدةٍ !!

﴿ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ١٤ ﴾

**بَغْياً بَيْنَهُمْ** : عداوة أو طلبًا للدنيا .

**مُرِيبٍ** : موقع في الريبة والقلق .

التفرق بعد مجيء العلم معناه أن ترتفع دعوة الدين الحق ، ويبقى المرء ، مع ذلك ، بمعزلٍ عنها ، أو يقف في وجهها معارضاً . لقد أبرز الله - سبحانه وتعالى - حقيقة الدين بواسطة رسوله الأخير في صورتها الخالصة النقية .. ومن هنا فقد كان ينبغي لجميع طلاب رضا الله أن ينضووا تحت رايته - عليه الصلاة والسلام - غير أنهم لم يستعدوا للانضواء تحت الراية المحمدية ؛ ذلك بأنهم كانوا بعزْو أنفسهم إلى الأنبياء السابقين يحتلون مركز التدين بين الناس ، فظنوا أن في هذا كفاية ، وأنهم في غنى عن أي رسولٍ أو رسالةٍ جديدةٍ بينما يتحتم على الناس كافة ، إذا ما ارتفعت دعوة الدين الصحيح الخالص ، أن يحطموا قوقعاتهم ، ويربطوا أنفسهم بالدين الصحيح

الخالص ...، وأما الذين لا يفعلون ذلك فإنهم مجرمون عند الله ، سواء كانوا غير متدينين أصلاً أو متدينين في ظاهر الأمر .

ومن الناس من ينكر دعوة الدين الحق إذا ارتفعت ، بدافع "البغي" بينما يبتعد بعضهم عنها بناءً على الشك والارتياب . والمراد بالبغي هو الحسد والتكبر ، وهو شأن أولئك الذين يتمتعون بمقام الكبرياء والسيادة في المجتمع ، والاعتراف بالحق يضطر هؤلاء إلى النزول عن مقام الكبرياء ، وحيث إنهم لا يرضون بتصغير أنفسهم ، ينصرف اهتمامهم نحو تصغير دعوة الحق تبريراً لموقفهم .

وأما الشك والتردد فحالة تعتري غالباً العوام من الناس ، فهؤلاء وإن كانوا يريدون كلام الداعي الخطير والمؤثر على مستوى الدليل ، إلا أنه يصعب عليهم أن يتخلوا عن أكابرهم أولئك الذين تكون عظمتهم قد استولت على أذهانهم بصورةٍ مسبقةٍ ، ويقف هذا المطلب المزدوج عائقاً دون توصلهم إلى قرارٍ حاسم ، فإذا كان الفريق الأول قد أهمل الحق تحت عوامل الحقد والتكبر ، فإن الفريق الأخير لا يتمكن من اختياره تحت عوامل الحيرة، وبالتالي يظل هذا وهذا محروماً من قبول الحق واعتناقه .

﴿ فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝١٥ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِي ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا ٱسۡتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمۡ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمۡ وَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ وَلَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞ ۝١٦ ﴾

بَغْياً بَيْنَهُمْ : عداوة : أو طلبًا للدنيا .

مُرِيبٍ : موقع في الريبة والقلق .

المراد بالكتاب هنا هو الدين الأصلي الذي جاء به الأنبياء والمرسلون ، وأما "الأهواء" فالمراد بها تلك الإضافات المزعومة التي أدخلها الناس من عند أنفسهم على الدين الحق ، وقد أمر الله رسوله بأن اثبت واستقم على الدين الأصلي وحده ، ولا يجوز بحالٍ من الأحوال أن تلين قناتك بالنسبة إلى دين الناس المزعوم أو تميل إلى التواؤم معه حتى ولو بالنظر إلى أية مصالح دعوية، فإن الواجب المنوط بك أساساً هو إقامة العدل، أي الفصل في الخلافات الدينية، والإبانة عن حقيقة الحق وحقيقة الباطل ، وتمييز الجزء الذي جاء من عند الله من الجزء الذي تم إقحامه في الدين نتيجة التحريفات البشرية .

وقوله : ﴿ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ﴾ يعني أننا لن نخوض معكم في خصامٍ حتى ولو تخاصمتم معنا ، وإننا سنظل متمسكين بمسلكنا الإيجابي من طرفٍ واحدٍ ، وإن اتخذتم إزاءنا موقفاً سلبياً ، إن مسئولية الداعي إنما تتمثل في إبلاغ رسالة الحق وحده ، أما ما عدا ذلك من أمورٍ ، فإنه يفوضها كلها إلى الله عز وجل . وإن اللجاج بالباطل وإثارة الجدل المغرض بغية إحراج أولئك الذين استجابت قلوبهم للحق ، عملية منكرة جائرة للغاية ، وإن أصحابها يعرضون أنفسهم لخطر أن يحل عليهم غضب الله ، والعذاب الشديد في الآخرة !!

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ﴾

وَالْمِيزَانَ : العدل والتسوية في الحقوق .

مُشْفِقُونَ مِنْهَا : خائفون منها مع اعتنائهم بها .

يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ : يجادلون أو يشكون فيه .

كما يكون هناك ميزان توزن به الأشياء المادية ، كذلك أنزل الله - سبحانه وتعالى- كتابه ميزاناً توزن به الحقائق المعنوية ، إن كتاب الله هو محك التمييز بين الحق والباطل ، فكل شيءٍ آخر ، كائناً ما كان ، يجب أن يتم فحصه واختباره بمعيار الكتاب الإلهي وليس بالعكس .

وإن الذين وقفوا من الرسول في عصره موقف المعارضة ، إنما كان خطؤهم يكمن في أنهم كانوا ينظرون إلى كتاب الله في ضوء الدين الذي تكوّن لديهم من تقاليدهم القومية الرائجة ، وما أثر عن أكابرهم من أقوالٍ وأفعالٍ ، بينما كان ينبغي لهم أن ينظروا إلى التقاليد القومية وأقوال الصالحين وأفعالهم المأثورة في ضوء كتاب الله ، وأن يأخذوا منها ما يتفق كتاب الله ، ويدعوا ما لا يتفق مع كتاب الله .

وإن المرء هو المسئول عن القيام بعملية النظر والفحص والاختبار هذه في العالم الراهن، وسيتم إنجاز هذه العملية في الآخرة من جانب الله - سبحانه وتعالى - على وجهٍ أكمل وأشمل، والعاقل هو الذي يزن نفسه قبل أن يوزن في يوم القيامة ؛ لأن الوزن يومئذٍ سيكون للقضاء الأخير ، وليس لإعطاء فرصة العمل !

﴿ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ۝ ﴾

الله **لَطِيفٌ** : برٌّ رفيق بهم .

**حَرْثَ الآخِرَةِ** : ثوابها الموعود. أو العمل لها .

إن الحياة الدنيا لأجل الامتحان ، حيث يتاح لكل امرئٍ هنا من الأسباب والوسائل بقدر ما هو ضروري ولازم للامتحان، والآن فإن من يكون محباً للآخرة ، سيستعمل

أسباب الدنيا الراهنة لبناء الآخرة ، وسيلقى بالتالي جزاءه في الآخرة بشكل مضاعف.

وعلى نقيضٍ من ذلك فإن من يكون محباً للدنيا فسيعمل آخذاً في اعتباره مطالب الحياة الراهنة وحدها، ومثل هذا الشخص يمكنه بالطبع أن يجني ثمار جهده في العالم الحالي ، غير أنه سيظل محروماً في الآخرة كل الحرمان فإنه إذا لم يكن قد عمل شيئاً يذكر لأجل الآخرة ، فيكف يمكن أن يُعطى شيئاً من نعيم الآخرة ؟!

﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّٰتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ﴾

كَلِمَةُ الفَصْلِ : الحكم بتأخير العذاب للآخرة .

رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ : محاسنها وملاذها أو أطيب بقاعها وأنزهها .

يَقْتَرِفْ حَسَنَةً : يكتسب طاعة .

إن شيئاً ما إذا لم يثبت من كتاب الله ، ولكن المرء يصر مع ذلك على كونه صواباً ، فمعنى ذلك أنه يتخذ من الآخرين أنداداً لله ، وأنه يعطي الآخرين دون الله الحق في أن يضعوا للناس دينهم!!

وهذا أمر بالغ الخطورة ، إذ الحقيقة أن تقرير أمر ما من أمور "الدين" ليس إلا من حق الله وحده ، وإن إعطاء هذا الحق لأحدٍ سواه هو الشرك الصريح . والشرك جريمة

لا تُغتفر عند الله على أية حال .

﴿ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ لقد تم تلقين الرسول - ﷺ- هذا القول عندما كانت قبيلته قريش تزرع شتى العقبات والعراقيل في طريق دعوته، وفي ظل ظروف قاسيةٍ إذا أبيتم قبول الدين الذي جئتكم به ، فلتكفوا أذاكم مراعاةً للقرابة ، ولو كان ثمة بيني وبينكم خلاف ديني،فلا يجرنكم هذا الخلاف إلى الانحطاط حتى عن مستوى الشرف والمروءة والأخلاق .. وهكذا فكأنما تم إشعار المعارضين لرسول الله بأسلوبٍ غير مباشرٍ ، بأنهم ليسوا معارضين فقط ، وإنما هم مجرمون أيضاً ، حيث إنهم يثبتون كون أنفسهم على خطأ وضلالٍ على المستوى الأخلاقي الذي له أهمية لا تنكر حتى في أنظارهم كذلك!

﴿ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَـٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَـٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ﴾

إن من سنة الله في هذا العالم أن يتجلى الحق هنا بصورة الحق ، ويظهر الباطل في مظهر الباطل ، فإن كانت هناك روح كاذبة ، فلن يصدر منها كلام صادق أبداً ، وهذا هو السر في أنه لا يمكن هنا لغير النبي أن يتكلم بلسان النبي ، فلو أن شخصاً جاء يزعم أنه نبي وما هو بنبيٍ ، لاصطبغ كلامه بالضرورة بطابع النبي الكاذب ، إذْ ليس في مقدور أحدٍ ، كائناً من كان ، أن يتكلم بأسلوبٍ النبي الصادق على نحوٍ مصطنع أبداً .

وقوله : ﴿ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ﴾ معناه : لو أنك افتريت على الله كذباً لختم على قلبك ، ولعاد لسانك عندئذٍ عاجزاً عن إصدار ذلك الكلام الرباني المقدس الذي

يمثل كلامك نموذجاً حياً له. والحقيقة هي أن كلام الرسول الأسمى دليل في نفسه على كونه رسول الله ، ولو أنه لم يكن رسول الله حقاً ، لما صدر مثل هذا الكلام الرفيع الأسمى من لسانه أبداً !

والذين يعارضون الحق ، لا يفعلون ذلك استجابةً لنداء قلوبهم ، وإنما يتصدون لمعارضته تلبيةً لدواعي العناد والتمرد ليس غير، ويصح القول أن أمثال هؤلاء يصيرون بذلك مجرمين أمام محكمة ضمائرهم نفسها ، ومن ثم فقد قامت عليهم حجة الله بالفعل ، ولم يعد لهم عذر ، اللهم إلا أن يبادروا بالتوبة والرجوع عما هم فيه من ضلالةٍ ، ويتضرعوا إلى الله تعالى سائلين إياه العفو والمغفرة لذنوبهم !!

﴿ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾

**لَبَغَوْا** : لطغوا وتجبروا ، أو لتظالموا.

**يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ** : بتقدير حكيم محكم .

**قَنَطُوا** : يأسوا من نزوله

**بَثَّ فِيهِمَا** : فرق ونشر فيهما .

إن حياة البشر فوق الأرض تتوقف على الماء، ولكن الماء بكليته في قبضة الله – سبحانه وتعالى – فلو أن الله لم يتفضل بتوفير الماء ، لما استطاع الإنسان أن يحصل الماء أو يوجده من عند نفسه ، وهكذا فإن الرزق هو الآخر يتم تقسيمه من عند الله ، وفي هذا

التقسيم ينظر الله سبحانه إلى استعداد الإنسان وكفايته ، فيعطي كلاً بقدر كفايته واستعداده، ولو صار الناس يُعطون أكثر من أقدارهم واستعداداتهم ، لعادوا كلهم طغاةً بغاةً ، ولملئت الأرض بالتالي جوراً وفساداً وظلماً وعدواناً .

وإننا نشاهد أن فلاحاً حين يبذر الحبوب في مزرعته ، فهو يقدر أيضاً على جمع تلك الحبوب متى يشاء، وهذه المشاهدة الإنسانية قرينة تدلنا على أن الله سبحانه قادر كذلك على جمع مخلوقاته المبثوثة في أرجاء الوجود واستحضارها أمام محكمته ، ليتم تحديد مصائر العباد النهائية هناك على صعيدٍ واحدٍ ، فإن الخالق الذي كان بإمكانه أن يبث الخلائق بعد إيجادها ، كيف سيعود مستحيلاً عليه أن يجمعها ويستحضرها من جديدٍ بعد الموت ؟!

﴿ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾ ﴾

بِمُعْجِزِينَ : بفائتين من العذاب بالهرب .

لقد أنشئ العالم الراهن تبعاً لقانون السببية ، فحين يتعرض المرء هنا لمصيبةٍ ما ، فإنها تكون من غير شكٍ نتيجة لبعض تقصيراته هو ، وقد يحدث أحياناً أن أحد الناس يرتكب خطأً أو تقصيراً ، ولكنه ينجو من سوء عاقبته .

وإنما تحدث هذه الوقائع في الدنيا لكي يعتبر بها الإنسان ، فإذا ما رأى أن الناس إنما ينالون ما ينالون بقدر عملهم ، فليتعظ بذلك لأن كل شخصٍ سيلقى جزاءه في الآخرة كذلك بحسب عمله كماً ونوعاً ...، وهكذا إذا وقع بصره على امرئ صدر منه تقصير ، ولكنه خلص من سوء مغبته ، فليأخذ من ذلك درساً مفاده أن الله غاية فى الرأفة والرحمة بعباده، فلو أن المرء رجع إليه تعالى ، لأنقذه برحمته الخاصة من عاقبة

تقصيراته .. وهكذا يصبح حال المرء إذا رسخ الإيمان في قلبه ، حيث إنه يأخذ يرى في أحداث الدنيا صور الآخرة !

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَـٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ ﴾

**الجَوَارِ** : السفن الجارية .

**كَالأَعْلامِ** : كالجبال ، أو القصور العالية .

**فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ** : فيصرن ثوابت سواكن .

**يُوبِقْهُنَّ** : يهلكهن بالغرق أي أهلهن .

**مَحِيصٍ** : مهرب ومخلص من العذاب .

إن الإنسان يجري سفنه في البحر ، ويطيّر طائراته في الجو ، وإنما يمكنه أن يفعل ذلك لكون الله سبحانه قد جعل نواميس الطبيعة ملائمة لنا نحن البشر ، ولو أن نواميس الطبيعة لم تتواءم معنا ، لما جرت لنا سفينة في البحر ، ولا طارت لنا طائرة عبر الفضاء .

وكل واقعة من وقائع الحياة تنطوي على عبرةٍ ، ولكن الاعتبار بالوقائع يتطلب الصبر والشكر ، فالحياة لا تسير دوْماً على وتيرةٍ واحدةٍ ، بل لابد فيها من الشدة والألم حيناً ، ومن الراحة والعافية حيناً آخر . وفي آوان الشدة والألم يتعين على المرء أن يسمو فوق الأحداث والأحوال الظاهرية ، حتى يتمكن من رؤية الواقع من زاوية أخرى ، وهذا شيء لا يتأتى بدون الصبر .. وهكذا يقتضي الأمر عند الراحة والعافية أن ننظر

إلى الشيء الناتج - على ما يبدو ظاهراً - عن جهودنا ، على أنه شيء موهوب من عند الله تعالى ، وإنه لن يوفق لهذا إلا شخص تولد في داخله ذلك الشعور الأسمى الذي يقال له "الشكر" .

والجدال في الآيات هو أن المرء إذا نُبِّه إلى مكان العظة الإلهية في واقعةٍ ما ، فلا يلقي لذلك بالاً ، وإنما يحاول تفسير الواقعة بوجوهٍ أخرى مفتعلةٍ .

﴿ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾

إن مَنْ يتوكل على الله من شأنه وحده أن يكون مريداً للآخرة ، فكلما يتقدم المرء نحو الآخرة ، تبدو له فوائد الدنيا مهددةً بالخطر ، وتتراءى له مصالحه العاجلة كأنما ينفلت زمامها من يديه ... إذن ، فليس هنالك من شيءٍ يثبت المرء على طريق الآخرة ، إلا أن يكون واثقاً بوعد الله ، ومتأكداً من أنه بقدر ما يفقد لأجل الله في هذه الدنيا ، يجد عوضه مضاعفاً عند ربه في تلك الدار الآخرة .

وكل نعمة من نعم الدنيا موقوتة سريعة الزوال ، أما نعم الآخرة فهي أبدية لا يعتريها زوال ولا فناء، وإنه لا حقيقة للنعمة الوقتية الفانية ، بالقياس إلى النعيم الأبدي الباقي !!

﴿ وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ

ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

**وَالْفَوَاحِشَ** : ما عظم قبحه من الذنوب .

**وَأَمْرُهُمْ شُورَى** : يتشاورون ويتراجعون فيه .

**أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ** : نالهم الظلم والعدوان .

**يَنتَصِرُونَ** : ينتقمون ممن ظلمهم ولا يعتدون .

**وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ** : يفسدون ، أو يتجبرون فيها .

إن الإيمان ، حين يفوز به أحد بمعناه الحقيقي ، لا يلبث أن يحدث في داخله ثورة ، ويجعل منه بالتالي رجلاً غير الرجل ، وإن الصفات المذكورة هنا ، المميزة لعباد الله المؤمنين ، كلها مما يتجلى في شخصية المؤمن على عقب الثورة الإيمانية .

فمثل هذا الشخص ينشأ في داخله مزاج الاعتراف بالحقيقة الواقعة ، حيث إنه يخضع لله معترفاً له تعالى بالألوهية ، ولنفسه هو بالعبودية ، ويعود مستحيلاً عليه إذا سمع منادياً يدعو إلى الله ألا يستجيب له ، وشعوره الإيماني يجعله مرهف الحس إزاء الصواب والغلط ، فهو يفعل ما ينبغي له أن يفعل ، ويجتنب ما لا ينبغي له أن يفعل .

واعترافه بوضعه الحقيقي - العبودية - يملأ نفسه تواضعاً ينتزع منه مزاج الغضب والظلم والبغي والعناد ، وهذا التواضع هو الذي يرغمه على أن يستفيد في الشئون الاجتماعية من مشورة الآخرين ، ويتحرز من الإقدام بناءً على رأيه الشخصي وحده . والصلة التي تربطه بغيره يكون قوامها النصح والمودة دون الاستبداد والاستغلال .

وإن شخصاً كهذا لا يعتدي على الآخرين على أية حالٍ ، أما إذا اتخذ ضد الآخرين خطوةً ما ، فإنما يتخذها كإجراءٍ دفاعي ، وبالقدر الذي يلزم لصد عدوانهم ، هذا إلى جانب كونه دائماً مستعداً ، حتى في أشد الظروف إثارةً واستفزازاً ، لكي يعفو عن الناس ، وينسى كل إساءاتهم السابقة .. وإن العبد المؤمن إذْ يفعل كل هذا ، فإنما يفعله مدفوعاً بعواطفه الإيمانية ، بيد أن الله تعالى يقدره ويعلي من شأنه بحيث يخلع عليه لقب صاحب العزم والهمة العالية ، ويدخله في جنانه الأبدية !

﴿ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ﴾

خَاشِعِينَ : خاضعين متضائلين .

يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ : يسارقون النظر من شدة الخوف .

إن الهداية يتم إيضاحها في هذا العالم بواسطة الدليل ، وتلك هي سنة الله بالنسبة لهذا العالم . ومعنى ذلك أن الهداية لا يوفق لها في هذا العالم إلا من يثبت مقدرته على فهم الحديث بلغة الدليل ، وأن يكفيه كون أمر ما قد ثبت صدقه بواسطة الدليل ، لكي يخضع له ويذعن إليه . أما الذين لا يكفيهم الدليل مقنعاً وباعثاً على التسليم، فإنهم لن يهتدوا في هذا العالم أبداً . والذي لا يخضع للدليل في العالم الراهن ، يعرض نفسه لخطر أن يُقهر يوم القيامة على الخضوع أمام القوة والجبروت الإلهي ، غير أن الخضوع يومئذٍ لن يغني عن أحدٍ فتيلاً...، حيث إنه سيكون لتسجيل الذل والهوان على المرء وليس

لتأهيله للإنعام والتكريم!

﴿ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾

نَكِيرٍ : إنكار لذنوبكم أو منكر لعذابكم .

فَرِحَ بِهَا : بطر لأجلها .

إن امتحان المرء الحقيقي في العالم الراهن هو أن يواجه كل وضعٍ من أوضاع الحياة برد فعل صحيح ، ولكن الإنسان لا يفعل هذا ، حيث إنه حين يحصل على نجاحٍ يصاب بنفسية الفخر والزهو والاعتزاز ، أما حين يتعرض لمصيبةٍ ما ، يأخذ في إظهار المشاعر السلبية .

وهؤلاء هم الذين لا يوفقون إلى رد الفعل أو الاستجابة الصحيحة إزاء دعوة الحق، فإن مزاجهم غير الواقعي يجعلهم غير واقعيين بشأنها كذلك . والاستجابة الصحيحة لدعوة الحق تتمثل في أن يعترف المرء بصدقها من فوره ، غير أن المرء يتخذ منها قضية تتصل بكرامته ، وبالتالي تأخذه العزة بالإثم ، فيقول: إنني سأعود "صغيراً" أمام الداعي فيما لو آمنت بدعوته ، وهذا الإحساس يقف عائقاً دون قبوله الحق ، فيقابله بالإهمال واللامبالاة حرصاً على مصالحه الذاتية رغم تيقنه من صدقه!.

﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ﴾

إن أساس الدين يقوم على التصور القائل بأن كل أنواع القدرة والاختيار في هذا الكون إنما هي بيد الله الواحد وحده ، وأنه لا يملك أحد سواه أي قدرةٍ ولاخيارٍ ، سواء أكان الأمر يتعلق بتدبير نظام السماء والأرض ، أم بإعطاء الإنسان الذرية ، فكل ما يناله المرء إنما يناله بعطاء الله ، وهو الذي ينتزع عطاءه منه متى يشاء .

وهذا الاعتقاد عن الله هو الذي يولد في نفس المرء ذلك الشعور الصحيح الذي يسمى " العبودية " ، كما أن هذا الاعتقاد عن الله هو الذي يرغم المرء على أن يتبع في حياته العملية المنهج الذي تضمنته الشريعة الإلهية!!

﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ﴾

**رُوحاً** : قرآنا أو نبوة ، أو جبريل .

**الإِيمَانُ** : الشرائع التفصيلية التي لا تعلم إلا بالوحي .

إنه ليس من شأن إنسانٍ أن يكلم الله مواجهةً في العالم الراهن ؛ إذْ يحول عجز الإنسان وقصوره دون اتصالٍ مباشر كهذا ، ومن ثم فقد نزل على الأنبياء ما نزل من الكلام الإلهي بأسلوب غير مباشرٍ ، وللكلام غير المباشر هذا طرق متعددة ، نجد أمثلتها في حياة الأنبياء والرسل في صور شتى .

إن أحد العلماء أو المفكرين حين يؤلف كتاباً أو يعرض كلاماً ، فإننا نجد في ماضيه من صنوف الأسباب والعوامل ما يمكننا من تعليل بطولته العلمية والفكرية ، ولكن

أمر النبي مختلف عن هذا تماماً . فحياة النبي بعد النبوة تختلف عن حياته قبل النبوة كل الاختلاف ، وإذا كان كلام غير النبي في حاضره يبدو امتداداً لماضي حياته ، فإن الكلام الذي يجري على لسان النبي بعد النبوة يكون فريداً متميزاً بلفظه ومعناه عن كلامه قبل النبوة لدرجة أنه لا يمكن تفسير هذا التميز والاختلاف بماضي النبي ، وإن هذه لقرينة واضحة تدل على أن كلام النبي كلام إلهي ، وليس كلاماً بشرياً عادياً .

ومن مزايا النبي العربي - ﷺ- أن القرآن الذي نزل عليه ، والكلام الذي صدر من لسانه ، لا يزال كلاهما محفوظاً في صورته الأصلية حتى هذا اليوم ، وأي شخصٍ يعرف اللغة العربية ، لو تناولهما بدراسة مقارنة ، لوجد بينهما فرقاً واضحاً جلياً حيث تبدو لغة الحديث النبوي لغة محمد بن عبد الله ﷺ بالبداهة ، ولغة القرآن المجيد لغة كلام الله - عز وجل - بالبداهة كذلك!!

obeikandl.com